

الفصل الثاني مظاهر الغربية الأولى

الفصل الثاني

مظاهر الغربة الأولى

إن استقصاء الأحداث والوقائع والمظاهر التي تمثّلت فيها غربة المسلمين الأوائل منذ فجر الدعوة، وإلى أن أذن الله بنصرها، وقيام دولتها؛ أمر يطول، ولكن يمكن الاقتصار على نماذج وأمثلة لصور الغربة العامة التي تمثّلت فيها. وأشير إلى أن الغربة تكون على نوعين:

الأول: غربة خاصة، وأعني بها غربة بعض المؤمنين في بعض البلاد أو المواضع؛ لأسباب وظروف خاصة.

وهذه الغربة لا يمكن القول بأنها زالت أو تزول؛ بل هي باقية حتى بعد استقرار شأن الإسلام وقيام دولته؛ لأن لها أسبابها الخاصة، فيمكن أن توجد بوجود أسبابها.

ومن صور هذه الغربة ومظاهرها الواضحة بقاء النجاشي (أصحمة)⁽¹⁾ مَلِك الحبشة الذي آوى المسلمين في بلاده، وعدم هجرته إلى الله ورسوله، مع أن من الثابت أنه آمن بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم، وشهد شهادة الحق، وعرف أن النبي محمدًا عليه الصلاة والسلام هو النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام.

وقد مات النجاشي في بلده دون أن تكتحل عينه وتقر برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ودون أن ينال شرف الصحبة -الذي هو منقبة جليلة لا يخفى قدرها-.

وقد نعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى وصلى عليه؛ لأنه غريب مؤمن مات في دار غربة مشرقة، وما ثم من يصلي عليه من المسلمين في بلده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربعًا"⁽²⁾.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالاستغفار له، فقال: **"استغفروا لأخيكم"**، وقال: **"إنه مات في بلد غير بلدكم"**؛ ولهذا صلى عليه صلاة الغائب⁽³⁾.

وهذا يمثل جانبًا من الوفاء الكبير الذي حفظه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون للنجاشي، حيث آمن وثبت على إيمانه -رغم الضغوط من حوله-، واستقبل المؤمنين، وأكرم وفادتهم، وأحسن مثواهم.

ومن مظاهرها - أيضًا - بقاء بعض المؤمنين المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلًا، وتأخر هجرتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم كالوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يرفع رأسه يقول: **"سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، يدعو لرجال فيسميهم بأسمائهم فيقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة ابن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، وأهل المشرق يومئذ من مضر مخالفون له"**⁽⁴⁾.

فلقد كان هؤلاء نفر الثلاثة مع غيرهم من المؤمنين المستضعفين الذين حبستهم قريش، ومنعتهم من الهجرة إلى الله، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فكانوا يعانون الغربة؛ بل والفتنة عن دينهم، حتى افتن منهم من افتن، ثم تاب الله عليهم⁽⁵⁾.

فغربة هؤلاء القوم، ومقامهم بين ظهراني
المشركين، وغربة النجاشي في الحبشة، وما
شاكل هذا وذاك؛ هي غربة خاصة؛ لأنها لا تعدو
أن تكون حالات فردية يضطر إليها المؤمنون:
إما من قبيل تحصيل مصلحة راجحة لا تحصل إلا
بذلك، أو من قبيل دفع مفسدة راجحة لا تندفع
إلا بذلك، وإما من قبيل الإلجاء والإكراه
والاضطرار.

ومن هذه الأمثلة يتضح أن هذه الغربة يمكن
أن تحدث في كل وقت، فقد حدثت لبعض
المؤمنين حتى بعد الهجرة، وبعد التمكين.

أما النوع الثاني من الغربة: فهو الغربة
العامة، وهي التي يتضح فيها بصورة أشمل
معنى "غربة الإسلام" حيث كان المسلمون
غرباء بدينهم، يلقون -جميعًا- البطش، والتنكيل
من المشركين دون أن يجدوا الحماية، ودون أن
يستطيعوا الدفع عن أنفسهم، كما حدث
للمسلمين قبل هجرتهم إلى المدينة.

وهذه كانت الغربية القاسية التي عاناها كل مسلم؛ بدءًا بالرسول صلى الله عليه وسلم، ثم كبار أصحابه من ذوي المكانة في قومهم، ثم المستضعفين الذين كانت تصب عليهم سياط العذاب صبًا، ويصهرون في رمضاء مكة الحارة، وتلقى عليهم الصخرات العظام، وتكوى جلودهم بالنار، ويقيد بعضهم بقيد، ثم يسلم للصبيان يجرونه ويعبثون به...!

وقد اتخذت هذه الغربية مظاهر شتى منها:

1- الاستسار بالدعوة:

فقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أنزل الله عليه الوحي، إلى أن بادأ قومه بالدعوة وأعلنها ثلاث سنين يدعو من يثق به سرًا، ويتصل بأتباعه سرًا لمواصلة الدعوة وتثبيتها، حيث لم يأمره الله عز وجل، بإعلان الدعوة والصدع بها⁽⁶⁾.

وسرية الدعوة في أول أمرها كانت لحكمة ربانية لتحقيق التدرج -بالنسبة للداعي- بحيث لا يكلف بالصدع والإعلان من أول يوم، ولو

كلا

ف صلى الله عليه وسلم بذلك لكان فيه من المشقة والعناء الشيء الكثير.

كما أن الداعية استطاع خلال هذه الفترة أن يستقطب عددًا من الأتباع والأنصار من أقاربه وأصدقائه، وخاصة الذين يتمكن من مسارتهم، وعرض الدعوة عليهم، وهؤلاء كانوا عونًا له على توسيع نطاق الدعوة، وتحقيق انتصارات ومكاسب جديدة لها في حدود السرية القائمة، ومن ثم فهم ومن آمن على يديهم كانوا خير رداء وسند للرسول صلى الله عليه وسلم عند جهره بالدعوة - بعد عون الله له وحفظه -.

ولكن مظهر الغربة كان ملمحًا واضحًا كل الوضوح في هذه السمة التي لازمت الدعوة ثلاث سنين - على الأقل -.

فالسرية إنما كانت لأن الدعوة في بدايتها، والبداية تعني الغربة، وعدم الإلف، خاصة حين نتذكر مدى البون الشاسع بين الصورة المتي يريدها الإسلام، والواقع الذي تعيشه الجاهلية.

وتلك السرية اقتضت صعوبة تحريك الداعية في دعوته، فهو لا يخاطب إلا من يأمن شره ويثق به، وهذا يعني أن الدعوة تسير بخطوات بطيئة حذرة، كما اقتضت صعوبة المواظبة على تلقي مطالب الدعوة من مصدرها، وصعوبة تنفيذها، إذ كان الداخل في هذا المدين ملزماً منذ البداية بالصلاة، ودراسة ما تيسر من القرآن - مثلاً - ولم يكن يستطيع أن يصلي بين ظهراي قومه، ولا أن يقرأ القرآن، فكان المسلمون يختفون في الشعاب والأودية إذا أرادوا الصلاة.

ويتصور المسلم اليوم - على رغم حواجز
الزمان والمكان- أولئك النفر يخلصون من أهل
مكة
نجي

أ، ويتسللون بخفة وحذر، ويذهبون بعيدًا عن الناس
حتى إذا وجدوا مطمئنًا من الأرض تلفتوا يمنة
ويسرة، ثم كبروا...! إنها الدعوة الجديدة الغربية -
رغم أنها الحق-، وإنهم الأتباع الصادقون الغرباء،
عرفوا ما تخفيه لهم عشيرتهم، فأثروا الاستخفاء،
وصبروا على مصاعبه حينًا من الدهر، حتى تنمو
الدعوة، ويصلب عودها...، وهم مع ذلك في انتظار
التوجيهات الربانية التي لو طلبت منهم أن يصرخوا
بدعوتهم في نادي قريش لما ترددوا...!

عن عفيف بن عمرو⁽⁷⁾ رضي الله عنه قال: كنت امرءًا تاجرًا، وكنت صديقًا للعباس بن عبد المطلب في الجاهلية، فقدمت لتجارة فنزلت على العباس بن عبد المطلب بمنى، فجاء رجل فنظر إلى الشمس حين مالت فقام يصلي، ثم جاءت امرأة فقامت تصلي، ثم جاء غلام حين راهق الحلم فقام يصلي، فقلت للعباس: من هذا؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي يزعم أنه نبي، ولم يتابعه على أمره غير هذه المرأة، وهذا الغلام، وهذه المرأة خديجة بنت خويلد امرأته، وهذا الغلام ابن عمه: علي بن أبي طالب، قال عفيف الكندي - وأسلم وحسن إسلامه -: لوددت أني كنت أسلمت يومئذ، فيكون لي ربيع الإسلام⁽⁸⁾ !.

يقول ابن إسحاق: " وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب، مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها... "⁽⁹⁾.

إنها الصورة الطَّبَعِيَّةُ لدعوة ناشئة، أتباعها لا يستكملون أصابع اليد الواحدة، النبي، وزوجه، وابن عمه الناشئ في حجره!.

وقد كان عمه العباس رضي الله عنه من القلائل الذين أثبتت الأحداث ولاءهم للدعوة، وعطفهم على أصحابها حتى قبل أن يدخلوا فيها... دون أن يدرك المشركون هذا الولاء وهذا العطف إدراكًا واضحًا - خاصة في بداية الأمر-.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحرج أن يطلعه على الأشياء المهمة الخطيرة في حركة الدعوة؛ بل أن يشركه فيها، كما حدث في بيعة العقبة.

إن الدعوة إلى الله لم تنزل لتكون دعوة سرية يخاطب بها الفرد بعد الفرد؛ بل نزلت لإقامة الحجة على العالمين، وإنقاذ من شاء الله إنقاذه من الناس من ظلمات الشرك والجاهلية إلى نور الإسلام والتوحيد.

ونزلت لتحكم الحياة البشرية، وتهيمن عليها في جميع شؤونها، وتكون ميزانًا عدلًا وقسطاسًا مستقيمًا يحكم على الأوضاع والأعمال والآراء والنظريات والأشخاص بالحكم العدل النابع من وحي الله وتنزيله.

ولذلك كشف الله تعالى عن حقيقة هذه الدعوة وميدانها منذ خطواتها الأولى، فحين كانت الدعوة محصورة بين شعاب مكة وجبالها، تعاني آلام البداية والغربة - وهي آلام تذيب الفؤاد- كان القرآن ينزل ببيان شمول الدعوة وعالميتها: **(إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)**⁽¹⁰⁾، **(وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)**⁽¹¹⁾، **(إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)**⁽¹²⁾.

وهذا الذكر - أو الذكرى- يقصد به مخاطبة هؤلاء الناس بالدعوة وتوجيهها إليهم، والإبانة عن مضمونها بينهم، بحيث يتمكنون من معرفتها على حقيقتها، ثم يقبلونها أو يردونها عن علم وإدراك.

ولذلك جاءت آيات آخر تخص الذكر والذكرى
للمؤمنين، أو للعابدين، أو للمتقين، أو للمنيبين،
أو لأصحاب القلوب...، إذ إن هؤلاء هم الذين
دُكروا فتذكروا، ووعظوا فاتعظوا، ودعوا فآمنوا.
والدعوة جاءت لهذا وذاك.. جاءت لتخاطب
البشر- كل البشر- ولتنقذ منهم من سبقت له
من الله الحسنَى.

وهذا يعني-بداهة- أن الدعوة جاءت ومن
خصائصها: الإعلان، والصدع، والبلاغ، والبيان،
والإنذار، وتحمل ما يترتب على هذا من التكذيب،
والإيذاء، والقتل، وغيره.

وإذا ظهرت هذه السمة والخصيصة - قضية
عامة أصلية- بان دون خفاء أن استسرار النبي
صلى الله عليه وسلم في دعوته أول الأمر،
إنما هو حال استثنائي، لظروف وملابسات
خاصة، هي ظروف بداية الدعوة، وضعفها،
وغربتها، وينبغي أن يفهم ضمن هذا الإطار.

وإن كان الكتمان والاستسار سياسة
مصلحية في كثير من أمور الإسلام في الحرب
والسلام، فهو كذلك في موضوع الدعوة، لكن
لابد أن ندرك الفرق بين مسألة الدعوة وسائر
المسائل الأخرى.

فالاستسار بالدعوة كلها أمر مخالف للأصل
الثابت المستقر، فلا يجوز اللجوء إليه إلا عند
الضرورة، وأعني بالدعوة بيان دين الله وشرعه
وحكمه.

أما الاستسار بما سوى ذلك من الوسائل
والخطط والتفصيلات، فهو أمر مصلي خاضع
للنظر والاجتهاد البشري، إذ لا يترتب عليه كتمان
للدين، ولا سكوت عن حق، ولا يتعلق به بيان،
ولا بلاغ.

ومن ذلك - مثلاً - معرفة عدد الأتباع
المؤمنين بالدعوة، فهذا أمر مصلي لا يخل
بقضية البلاغ والندارة التي نزلت الكتب وبعثت
الرسل من أجلها، فيمكن أن يظل سرّاً - متى
كانت المصلحة في ذلك - مع القيام بأمر الدعوة
والتبليغ.

ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم حتى
بعد أن صدع بدعوته، وأنذر الناس وأعلن النبوة؛
ظل يخفي أشياء كثيرة لا تؤثر على مهمة البلاغ
والبيان، كعدد أتباعه، وأين يجتمع بهم، وما هي
الخطط التي يتخذونها إزاء الكيد الجاهلي؟ ومن
ذلك قصة الهجرة وهي في الصحيحين،
ومر

تخرج طرف من حديثها.

وبعد هذا العرض المجمل يتضح جانب من
الغربة الخاصة والعامة، التي واجهتها الدعوة
بذاتها، وواجهها الداعية الأول صلى الله عليه
وسلم، ومن معه من الأفراد القلائل، وعموم هذه
الغربة وإطباقها وهي أشد ما يتصور في غربة
الإسلام، أن يضطر المسلم الداعية إلى كتمان
إيمانه.

2- قلة الأتباع:

ولقد كان من النتائج الطبيعية لجدة الدعوة وحدثها وسريتها، أن يكون أتباعها أفرادًا معدودين - أول أمرهم -، وكان هذا مظهرًا من مظاهر الغربة. فكان عفيف الكندي رضي الله عنه يتمنى لو أسلم ليكون ربيع الإسلام - كما سبق - لكننا نجد من الصحابة غيره من يقول إنه فعلاً كان ثلث الإسلام، أو ربيع الإسلام، أو خمسه، أو سدسه!.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:
ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه،
ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام⁽¹³⁾.

وهذا عمرو بن عبسة رضي الله عنه يحسب أنه كان ربيع الإسلام، وفي سياق خبره عرض جوانب عديدة في الغربة، والقلّة، والذلة:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيًا، جراءً عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: **أنا نبي**، فقلت: وما نبي؟ قال: **أرسلني الله**، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: **أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: **حرو عبد** (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به)، فقلت: إني متبعك، قال: **إنك لا تستطيع يومك هذا!** **ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني**. قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم علي نفر من أهل يثرب، من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد

أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرفني؟ قال: نعم. **أنت الذي لقيتني بمكة؟** قال: فقلت بلى⁽¹⁴⁾ ...

لقد فهم عمرو رضي الله عنه أول الأمر من قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله: من معك؟ قال: حر وعبد، فهم منها أن أتباعه اثنان: حر وعبد فحسب، والظاهر أن هذا كان من ضمن الاحتياطات السرية التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم لحماية دعوته وأتباعها، وأنه يقصد أن أتباعه ما بين حر وعبد، فبعضهم أحرار، وبعضهم عبيد، فيدخل في الأحرار: خديجة، وعلي، ومن كان أسلم قبل عمرو، ويدخل في العبيد: بلال، وياسر، وعمار وغيرهم.

ولذلك كان عمرو يقول: "لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام"⁽¹⁵⁾.

ومثل هذا يمكن أن يقال في قول سعد رضي الله عنه أنه كان ثلث الإسلام. وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر⁽¹⁶⁾.

وليس مراد عمار - أيضاً- إلا من أظهر إسلامه وعرف به، وإلا فقد كان حينئذ جماعة ممن أسلم، ولكنهم كانوا يكتمون إسلامهم⁽¹⁷⁾.

ولعل من أسباب ما يقع من الاضطراب في تحديد السبق إلى الإسلام، ومعرفة الأعداد بالتحديد أن الإسلام كان

سراً، وكان الداخل لا يعرف إلا النبي صلى الله عليه وسلم، أو فرداً، أو فردين ممن حوله، فكان كل واحد يخبر عما يعتقد، وإن لم يكن الأمر على ما أخبر في الواقع.

فإن كان عَرَفَ - بعدُ- أنه سَيِّق، أخبر عما كان يعتقد فقال إنه كان يظن أنه ربيع الإسلام، أو ثلث الإسلام - بهذا المعنى-.

وإن لم يعرف بعدُ ظل يحدث عما يعلم ويرى، ولو كان الأمر بخلافه. وثمة سبب آخر: وهو تقارب فترة إسلامهم؛ ولذلك يقول سعد: "ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه"⁽¹⁸⁾.

ومهما يكن من أمر فإن الداخلين في الإسلام كانوا أفرادًا قلائل، ولم يكن ثم من الفرص ما يتيح لهم مجال الاتصال القوي فيما بينهم بسبب الحصار الشديد الذي تفرضه قريش على الدعوة الجديدة وأتباعها.

ولكن هذه القلة القليلة كانت ذات أثر عظيم في حاضر الدعوة ومستقبلها، وقد انطلقوا يحملون هذه الدعوة بحماس شديد، ويدعون إليها من يستطيعون لا يحول بينهم وبين ذلك حائل، إلا أن تكون القيود الحديدية التي تثقل قريش بها أقدام الأرقاء من المؤمنين.

ولقد أسلم على يدي رجل واحد - هو أبو بكر رضي الله عنه - عدد كبير من مبرزي الصحابة ومقدميهم؛ كالزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم أجمعين⁽¹⁹⁾.

لقد كان الرجل يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم الآية والآيتين، ويتشهد شهادة الحق ثم ينطلق من ساعته داعية إلى دين الله.

وهذه صورة عظيمة من صور الانفعال بهذا الدين، والاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

صورة المؤمن الذي لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، حتى يحقق في واقع الحياة ما يشيع به الوجدان، من حرارة الإيمان، دون أن يكون هذا الانطلاق دفعة عاطفية مؤقتة سرعان ما تخمد وتخبو وتزول، وشبهها ما حكاه الله تعالى عن مؤمني الجن في قوله: **(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۖ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۖ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)** (20).

إنهم يستمعون فينصتون، فإذا قضي لم يكتفوا بالإيمان به فحسب؛ بل يزيدون على ذلك أن يتحولوا إلى "منذرين"، تتحرك في نفوسهم روح النذارة والدعوة والبلاغ.

وليس يهم: هل استجيب لهم أم لا؟ بل ليس يهم: هل مُكِّنوا من الإنذار أم لا؟ إنما المهم أنهم ولوا منذرين، تمتلئ نفوسهم بالإشفاق على قومهم، والرغبة في هدايتهم.

وهذا كان شأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أجمعين، حتى المقيدين المكبلين المعذبين، ما كان فيهم من رضي أن يكون هو بنفسه مسلماً ثم يدع أمر الناس للناس.

لقد خالطت بشاشة الإيمان وحرارته وتوقده شغاف قلوبهم، فتحركت الجوارح بالطاعة والاستجابة.

ولذلك فقد كانوا قليلاً عددهم، عظيمًا شأنهم، حياً إيمانهم. وإنك لتعجب حين تتأمل أسماء الطليعة الأولى من جيل الصحابة ممن آمن في أول البعثة، فتجد الأسماء نفسها ظلت في المقدمة إلى أبد الدهر، ومنها كان رجالات الحكم والسياسة والحرب، وأئمة العلم والفقه والفتيا، والمقدمين في سائر أمور الدنيا والدين!.

ومن هؤلاء كان أبو بكر، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، ومصعب ابن عمير، وغيرهم كثير.

وهذه القلة المؤمنة المغتربة، كانت تشعر شعوراً عميقاً بالغرابة، ولكن هذا الشعور كان من نوع خاص، غير ما يعتاده الناس.

فالغريب - عادة- يشعر بالذل، ويقنع باليسير، ويرضى بالدون، كما قيل:

إن الغريب له استكانة مذنب
وخضوع ذي دِين، وذل

مُريب⁽²¹⁾

أما الغرباء الأولون من أتباع النبي الأعظم
صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا كذلك على
رغم شدة غربتهم، وأن أكثرهم كانوا من
المستضعفين والعبيد.

لقد نفخ فيهم الإسلام روح العزة والكرامة،
وأيقظ لديهم الشعور بإنسانيتهم المكرمة
المختارة، ومنحهم من الاستعلاء بالإيمان، ما
جعلهم يضربون أروع الأمثلة في الصبر والتحمل
والثبات على الدين.

وغرس في قلوبهم من الإيمان بالآخرة
ونعيمها، ما جعل الدنيا - في أعينهم - هينة
زهيدة، تبذل رخيصة في مرضاة الله.

كما أعطاهم من الثقة والاطمئنان لمستقبل
هذا الدين، ما جعلهم يتحملون مرارة الواقع
الأليم تطلعًا للمستقبل الذي وعد الله به
المؤمنين، رجاء أن يكتب الله على أيديهم نصر
هذا الدين وإعزازه.

ولقد كان دخول الواحد منهم في الإسلام،
وشعوره بالقرب من الله، وأنسه بربه، وحياة
قلبه وقرّة عينه بسماع القرآن؛ سببًا في
شعورهم الحقيقي بالتميز عن الجاهلية من
حولهم، الجاهلية التي تضج بالفوضى، والفساد،
والجفاف، والانحلال.

فكان يصاحب شعورهم بالغرابة، شعور بالتميز
والاستعلاء والفوقية على الكافرين، ثم شعور
بوجوب غزو هذا المجتمع الجاهلي، وتقويض
أركانه؛ ولذلك لم تؤثر فيهم تلك الغربة آثارًا
سلبية، ولم تضعف من يقينهم وحرارة إيمانهم؛ بل
كانت تشكل "التحدي" الذي يثير المشاعر،
ويستفز الطاقات، ويفجر القدرات.

وهذا يدعو - مرة أخرى - للتأكيد على الفرق
الواضح بين غربة الحنفاء في الجاهلية، وغربة
محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

إن غربة أولئك كانت النهاية، فهم نماذج
باقية تتقلص يومًا بعد يوم
ولا تكاد تفكر بالإصلاح والتغيير، فيصدق عليهم
قول القائل:

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم

وخلفت في قرن فأنت

غريب!

أما غربة هؤلاء فهي غربة البداية، والبداية مليئة بالآمال والمطامح، والمشاعر القوية الفياضة، ومليئة بالعمل، والتحرك، والانطلاق؛ لنشر هذا الدين، ودعوة الناس إليه، والجهاد لتحقيقه في عالم الواقع.

ولا شك أن الحركة بهذا الدين في واقع الحياة هي من أعظم أسباب احتفاظ الداعية بإيمانه؛ بل من أعظم أسباب نماء الإيمان وزيادته، وتعمقه في القلب، ومخالطته لذرات النفس.

ذلك أن الداعي الذي جعل همه دعوة الناس إلى هذا الدين، سوف تتكيف مشاعره مع دعوته، فيحزن من أجل دعوته، ويفرح من أجلها، ويغضب ويرضى، ويحب ويكره من أجلها.. فتصطبغ روحه ومشاعره بهذه الدعوة، وتصبح دعوته جزءاً لا يتجزأ من حياته وشخصيته وتكوينه، وهذه ضمانة قوية للصبر والثبات على هذا الدين.

هذا فوق أن الصبر والثبات منحة إلهية يهبها الله للمجاهدين في سبيله، ولهذا قال تعالى: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)**⁽²²⁾، وذلك في سورة العنكبوت التي افتتحت بالحديث عن الابتلاء والفتنة والإيذاء في الله.

3- الاضطهاد والتعذيب:

كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -الذين تقدم إسلامهم- عدد من ذوي المكانة في قريش؛ كأبي بكر، وعثمان، رضي الله عنهما، أما عامة أصحابه فكانوا من المستضعفين.

فأما ذوو المكانة فمنعهم الله بقومهم - كما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي طالب-.

وأما سائر المؤمنين فقد تفننت قريش في تعذيبهم، وكشَّرت عن أنياب الغيظ والحقد، وسلطت عليهم من سياط العذاب ما لو سلط على جبل لارفضَّ وتفتت.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه
سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد.

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر: فمنعه
الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون،
وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في
الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على
ما أرادوا، إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في
الله، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه
الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة،
وهو يقول: أحد، أحد⁽²³⁾!

إن امتناع الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي طالب، وامتناع أبي بكر بقومه...، وكذلك سائر المؤمنين من بيوتات مكة الرفيعة، كانت تمنعهم مكانتهم، ومكانة قومهم من كثير مما يقع لغيرهم من الضرب، والتنكيل، ولكن كان يخلص إليهم من ألوان الأذى الحسدية، والمعنوية الشديء الكثير، فكان لابد أن يدفعوا ضريبة الغربة الناتجة عن الدخول في الإسلام. ومن الصور المؤذية لهؤلاء ما ورد في الخبر الثابت من اجتماع أشرف قريش في الحجر وتذاكرهم ما دخل عليهم من النبي صلى الله عليه وسلم فيما زعموا من تفريق الجماعة، وعيب الآلهة، وشتم الأجداد، ثم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك، وغمزهم له ببعض القول، وتهديده لهم صلى الله عليه وسلم، وأنهم اجتمعوا من الغد فلما جاءهم وثبوا إليه وثبة رجل واحد: أنت الذي تقول كذا؟ أنت الذي تقول كذا؟ كل ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : نعم فأخذ رجل منهم بمجمع رداءه، فقام أبو بكر دونه يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! (24).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم
يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في
مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى
هذا المرأئي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان،
فيعمد إلى فرثها، ودمها، وسلاها، فيجيء به، ثم
يمهله، حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث
أشقاهم⁽²⁵⁾، فلما سجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وضعه بين كتفيه، وثبت النبي صلى
الله عليه وسلم ساجدًا، فضحكوا حتى مال
بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق
إلى فاطمة - وهي جويرية-، فأقبلت تسعى،
وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدًا، حتى
ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال:
اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم
عليك بقريش، ثم سمى: اللهم عليك بعمرو بن
هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد
بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط،
وعمارة بن الوليد.

قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **وأتبع أصحاب القليب لعنة** ⁽²⁶⁾.

إنها جريمة نكراء، تكاد السموات تتفطر منها، وتنشق الأرض، وتخسر الجبال

هد أن يجرؤ الملاء من سفهاء قريش، من جثي جهنم، على هذه الشناعة البشعة القذرة الخسيصة، ثم يرى هذه الفعلة المستضعفون من المؤمنين؛ كعبد الله بن مسعود، وغيره، فلا يملكون لها دفعًا، سوى أن ينطلق منهم منطلق إلى فاطمة، وهي جويرية حديثة السن، لتزيل عن أبيها صلى الله عليه وسلم ما ألقوا عليه.

ولقد انتقم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بقتل هؤلاء السبعة المعدودين يوم بدر، وإلقاء جيفهم في القليب، حيث ناداهم صلى الله عليه وسلم: **هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإننا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا!**

عن أبي طلحة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقاذوا في طوى من أطواء بدر⁽²⁷⁾ خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان بيدر، اليوم الثالث، أمر براحلته فشدد عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي⁽²⁸⁾، فجعل يناديهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم: **يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟**

قال: فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**⁽²⁹⁾.

ولو ذهبت تتبّع المواقف التي أساءت فيها
قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ولكبار
أصحابه من ذوي المنعة والجاه؛ لطال الأمر، وفي
الصحيحين فضلاً عن غيرهما من ذلك الشيء
الكثير؛ بل بلغ بهم الحال أن حاولوا قتل النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يستطيعوا- كما سبق
في حديث عمرو بن عبسة-. وقد ازداد إيذاؤهم له
صلى الله عليه وسلم وتجرؤوا عليه بعد وفاة
عمه أبي طالب؛ لأنه كان يحوطه ويحميه، فلما
مات أقدمت قريش على ما لم تكن تقدم عليه
من قبل، حتى ضيقت عليه الخناق، فصار يفكر
صلى الله عليه وسلم في البحث عن موطن
للدعوة خارج مكة.

أما المستضعفون من أصحابه فقد نطق قول
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه السابق بألوان
من التعذيب لهم من إلباسهم أدرع الحديد،
وصهرهم في الشمس، وطواف صبيان مكة
بعضهم في شعاب مكة ونواحيها.

وعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: يا أبا عباس! أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ فقال: نعم، والله إن كانوا ليضربون أحدهم، ويجيعونه، ويعطشونه، حتى ما يقدر على أن يستوي جالسًا من شدة الضر الذي به، حتى إنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة!.

وحتى يقولوا: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. وحتى إن جعل ليمر بهم، فيقولون: أهذا جعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم؛ افتداء منهم، لما يبلغون من جهده⁽³⁰⁾.

وقد روت كتب السير صورًا محزنة من إيلام قريش للمؤمنين، وللضعفاء خاصة من العبيد، والنساء، والشيوخ المسنين، كما حدث لياسر، وسمية، وعمار، وبلال، وخباب، وعامر بن فهيرة، والزبير، وجارية بني مؤمل، وغيرهم كثير⁽³¹⁾.

لقد كانوا رضي الله عنهم يجهدون، وكان محمد صلى الله عليه وسلم يجهد من ورائهم ولا يملك أن يدفع عنهم شيئاً مما هم فيه، ولكنه يذكرهم بعظيم الأجر الذي ينتظرهم عند الله على صبرهم واحتسابهم، وكانوا مؤمنين حق الإيمان بما عند الله، حتى لكأنهم يرونه رأي العين.

ويذكرهم صلى الله عليه وسلم بما عاناه وقاساه من كانوا قبلهم من المؤمنين، من صنوف العذاب المُمضِّ الأليم، من تقطيع الأوصال، ونشر اللحم بالمنشار وغير ذلك..

ويذكرهم بالمستقبل الذي وعد الله به هذا الدين وأهله، وأنه سيتم الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه.

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار، وهم يؤذون في الله تعالى، فقال لهم: **صبرًا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة** (32).

وعن خباب رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ ففعد وهو محمر وجهه، فقال: **"لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم، أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه، فيشق باثنيين ما يصرفه ذلك عن دينه. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله".** زاد بيان⁽³³⁾: **"والذئب على غنمه"**⁽³⁴⁾.

يا سبحان الله! ماذا جرى حتى احمر وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقعد من ضجعته؟ وخاطب أصحابه بهذا الأسلوب القوي المؤثر، ثم عاتبهم على الاستعجال؟

لأنهم طلبوا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم؟!!

كلا. حاشاه من ذلك، وهو الرؤوف الرحيم بأمته.

إن أسلوب الطلب: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ يوحي بما وراءه، وأنه صادر من قلوب أمضها العذاب، وأنهكها الجهد، وهدتها البلوى، فهي تلتمس الفرج العاجل، وتستبطئ النصر، فتستدعيه.

وهو صلى الله عليه وسلم يعلم أن الأمور مرهونة بأوقاتها، وأسبابها، وأن قبل النصر البلاء، فالرسل تبلى ثم تكون لها العاقبة⁽³⁵⁾.

(حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرَّسُلُ وَاظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا)⁽³⁶⁾، ويلمس عليه السلام من واقع أصحابه، وملابسات أحوالهم، بَرَمَهُم بِالْعَذَابِ الَّذِي يَلَاقُونَ، حتى ليفتنون عن دينهم، ويستعلي عليهم الكفرة، ويموت منهم من يموت تحت التعذيب.

وقد لا يكون من الميسور أن يدرك المرء - بمجرد قراءة النص - حقيقة الحال التي كانوا عليها حين طلبوا منه عليه الصلاة والسلام الدعاء والاستنصار، ولا أن يعرف المشاعر والإحساسات التي كانت تثور في نفوسهم إلا أن يعيش - بالآقريبآ من حالهم، ويعاني - في سبيل الله - بعض ما عانوا.

لقد كان صلى الله عليه وسلم يريهم
على:

(أ) التأسى بالسابقين من الأنبياء
والمرسلين وأتباعهم في تحمل الأذى في سبيل
الله، ويضرب لهم الأمثلة في ذلك.

(ب) التعلق بما أعده الله في الجنة
للمؤمنين الصابرين من النعيم، وعدم الاغترار
بما في أيدي الكافرين من زهرة الحياة الدنيا.

(ج) التطلع للمستقبل الذي ينصر الله فيه
الإسلام في هذه الحياة الدنيا، ويذل فيه أهل
الشرك والعصيان.

وثمة أمر آخر كبير ألا وهو: أنه صلى الله
عليه وسلم - مع هذه الأشياء كلها- كان يخطط
ويستفيد من الأسباب المادية المتعددة، لرفع الأذى
والظلم عن أتباعه، وكف المشركين عن فتنهم،
 وإقامة الدولة التي تجاهد في سبيل الدين، وتتيح
الفرصة لكل مسلم أن يعبد ربه حيث شاء، وتزيل
الحواجز والعقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى
الله.

قال تعالى: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)** (37)، فالمسلم يعبد الله بالصبر والتحمل، ويعبده باتباع جميع الوسائل المؤدية - بإذن الله- إلى دفع الغربة عن المؤمنين، ورفع الضر عن المستضعفين.

4- الحصار والتضييق:

ولقد سلكت قريش ومن يتابعها -ضمن خطتها الجاهلية للاضطهاد والتعذيب وفتنة المسلمين عن دينهم -أساليب دنيئة يربأ الإنسان - جنس الإنسان- عنها، لكن مَنْ قال إن الجاهلية تعرف للإنسانية معنى؟!!

لقد كانت العرب عامة - وقريش خاصة - تتغنى بالكرم والجود والبذل والعطاء، وتعتبر هذه الخصلة من مواطن الفخر، والمنافسة، والسباق.

يقول الشاعر العربي يمدح بعض الكرماء:
إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت
ونال كرامَ المال في السنة

الأكلُ

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم

قطينا لهم، حتى إذا أنبت
البقل..

هنالك إن يستخلوا المال يُخيلوا
وإن يسألوا يعطوا، وإن
بيسروا يغلوا

على مكثريهم حق من يعترهم
وعند المقلين السماحة
والبذل!

فما كان من خير أتوه فإنما
توارثه آباء آباءهم قبل!

(38)

وكان في قريش - خاصة - كرماء أجواد
مطعمون، منهم عبد الله ابن جُدعان، وكان له
داعيان يدعوان إلى طعامه وضيافته، وفيه يقول
أمية ابن أبي الصلت:

له داع بمكة مشمعل
وآخر فوق دارتها ينادي
إلى ربح من الشيزي عليها
لباب البر يُلبك بالشهاد!

ومنهم هشام بن المغيرة - والد أبي جهل -
وفيه يقول الشاعر:

فأصبح بطن مكة مقشعراً
كأن الأرض ليس بها هشام!

(39)

وقد سجل التاريخ لهم من قصص الجود
والكرم والعطاء ما يشبه الخيال⁽⁴⁰⁾!.

فلمّ

أَجْهَرَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَعْوَتِهِ،
وَاسْتَحْكَمَتْ عَدَوَاتِهِ فِي نَفُوسِهِمْ؛ نَسُوا كُلَّ مَا
تَعَارَفُوا عَلَيْهِ مِنْ جَمِيلِ الْخِصَالِ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
يَطْعَمُونَ الضَّيْفَانَ، وَيَلْتَمَسُونَ الْمُحْتَاجِينَ
وَالْمَعْوِزِينَ؛ يَبْخُلُونَ بِالْحَقُوقِ عَلَى الْجِيرَةِ
وَالْقَرَابَةِ، وَيَمْنَعُونَهِمِ الْمِيرَةَ وَالطَّعَامَ بِالْقِيَمَةِ،
وَيَحَاصِرُونَهِمْ سِتِّينَ أَوْ
ثَلَاثًا

أَجْهَرَ فِي الشَّعْبِ - شَعْبَ أَبِي طَالِبٍ - حَصَارًا
اِقْتَصَرَ

وَاجْتِمَاعِيًّا

أَجْهَرَ، حَتَّى لِيَضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَكْلِ وَرْقِ الشَّجَرِ، وَحَتَّى
لِيَصِيبَهُمْ ظِلْفُ الْعَيْشِ وَشِدَّتُهُ، إِلَى حِدِّ أَنْ أَحْدَهُمْ
يَخْرُجُ لِيَبُولَ فَيَسْمَعُ بِقَعْقَعَةِ شَيْءٍ تَحْتَهُ، فَإِذَا هِيَ
قِطْعَةٌ مِنْ جِلْدِ بَعِيرٍ فَيَأْخُذُهَا فَيَغْسِلُهَا، ثُمَّ يَحْرِقُهَا،
ثُمَّ يَسْحَقُهَا، ثُمَّ يَسْتَفِئُهَا، وَيَشْرَبُ عَلَيْهَا الْمَاءَ،
فَيَتَّقَوْنَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ⁽⁴¹⁾! وَحَتَّى لَتَسْمَعَ قَرِيبٌ
صَوْتَ الصَّبِيَّةِ يَتَضَاغُونَ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ مِنَ
الْجُوعِ!.

عن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: ... ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت⁽⁴²⁾ أشداقنا، فالتقطت بردة فشقققتها بيني وبين سعد بن مالك⁽⁴³⁾، فاتزرت بنصفها، واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم مننا أحد إلا أصبح أميرًا على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا، وعند الله صغيرًا⁽⁴⁴⁾.

وهذه القصة يشبه أن تكون حدثت أثناء الحصار في الشعب - والله أعلم-؛ إذ كان عتبة من السابقين إلى الإسلام⁽⁴⁵⁾، ومثله كان سعد بن أبي وقاص.

لقد أجمعت قريش على حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومقاطعته
اجتماعي

واقتصموا
فاجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني
هاشم وبني عبد المطلب ألا يناكحوا ولا ينكحوا
إليهم، ولا يبايعوهم ولا يتاعوا منهم، وكتبوا
صحيفة في ذلك.. ثم عدوا على من أسلم،
فأوثقوهم، وأذوهم، واشتد البلاء عليهم،
وعظمت الفتنة، وزلزلوا زلزالاً شديداً⁽⁴⁶⁾.

وكان القرشيون عقدوا هذا الاتفاق في
خيف⁽⁴⁷⁾ بني كنانة، فلما أذن الله بنصر دينه،
وإعزاز رسوله، وفتح مكة، ثم حجة الوداع، كان
النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر أن ينزل في
هذا الخيف ليتذكر ما كانوا فيه من الضيق
والاضطهاد، فيشكر الله على ما أنعم عليه من
الفتح العظيم، ودخولهم مكة - التي أخرجوا منها -
ظاهرين، على رغم أنف من سعى في إخراجهم
منها من الكافرين، وليؤكد قضية انتصار الحق
واستعلائه، وتمكين الله لأهله الصابرين⁽⁴⁸⁾.

(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)⁽⁴⁹⁾.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قلت:
يا رسول الله! أين تنزل غدًا؟ - في حجته، قال:
"وهل ترك لنا عقيل من زلّاء؟". ثم قال:
"نحن نازلون غدًا بخيف بني كنانة"

المُحصِر

ب، حيث قاسمت قريش على الكفر".
وذلك أن بني كنانة حالفت قريشًا على بني هاشم:
ألا يبايعوهم ولا يؤووهم.

قال الزهري: والخيف: الوادي⁽⁵⁰⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد حنينًا:
"منزلنا غدًا إن شاء الله بخيف بني كنانة"
حيث تقاسموا على الكفر"⁽⁵¹⁾.

وهذه الخطة الجاهلية: خطة الحصار
والتجويع، مما يتواصى به أعداء الرسل من
الكفار والمنافقين عبر العصور: (هُمُ الَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)

(52)

وهذه المؤامرة الجماعية -مؤامرة الشعب-
لم تكن هي الكيد الوحيد في مجال التضيق
والمحاصرة، كلا. بل لقد دأب عتاة الجاهلية
ومَرَدُّهَا على الاستخفاف بحقوق من أسلموا،
وعلى ألا يرقبوا فيهم

ولا ذمة، وعلى أن يتناسوا في سبيل إيدائهم
جميع الأعراف والتقاليد المرعية، حتى لقد
منعواهم حقوقهم المالية من الديون وغيرها..!

عن خباب رضي الله عنه قال: "كنت قيناً⁽⁵³⁾
في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل
دراهم، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى
تكفر بمحمد! فقلت: لا والله، لا أكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم حتى يملكك الله ثم
يبعثك، قال: فدعني حتى أموت ثم أبعث، فأوتى
مالاً وولداً، ثم أقضيك، فنزلت: **(أَفَرَأَيْتَ الَّذِي
كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا)**

(54) || (55)

ولقد آثر هؤلاء المؤمنون ما عند الله،
فطويت عنهم الدنيا فعاشوا في شظف من
العيش كان أفضل عندهم من الثقلب على فرش
الحرير والمدباج؛ لأنه آثر من آثار طاعة الله،
والرضا بدينه، ورسوله، فقد استعذب القوم في
سبيل دينهم كل مرٍّ، واستساغوا كل علقم،
ولسان حالهم يقول:

رضيت في حبك الأيام جائرة
فعلقم الدهر إن أرضاك
كالضرب!

فكانت العاقبة لهم في الدنيا والآخرة.
وكان هذا جانبًا من الخير الكثير الطيب الذي
وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم به
الغرباء حين قال: "**فطوبى للغرباء**".

إن كل ما يلقاه الغريب من تضيق وحصار
وإيذاء واضطهاد، هو رفعة له، وزيادة في
درجاته، وصبره عليه قربى إلى الله، واحتسابه
له سبب للسعادة والأنس، والروح، والنعيم
العاجل والآجل.

**5- انحصار دعوة الإسلام في بيئة
واحدة:**

لقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم في أم القرى لينذرها ومن حولها، وينذر يوم الجمع لا ريب فيه، وجاء برسالة ربانية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فلم تكن دعوته دعوة إقليمية، أو محلية؛ بل كانت منذ أولها دعوة عالمية، موضوعة للإنسان -جنس الإنسان- كيف كان، وميدانها الأرض -كل الأرض-، ومهمتها إصلاح الحياة البشرية في جميع جوانبها الفردية والاجتماعية .

ولقد واجه الرسول صلى الله عليه وسلم مجتمع مكة بالدعوة، فلقى منهم ما لقي من التكذيب والتعذيب، ولقى أصحابه من الاضطهاد، والتكيل، والتكيل، ما هو فتنة للتابع، وصد لغيره، وحيلولة دون انطلاق الدعوة وانتشارها.

ولقد ظلت الدعوة محصورة بين أخشبي مكة، لا يؤمن بها خارجها إلا الفرد بعد الفرد؛ كعمرو بن عبسة، وأبي ذر رضي الله عنهما حتى أذن الله بإسلام الأنصار، وقيام الدولة.

وكان انحصار الدعوة في مكة من مظاهر الغربة الشديدة؛ لأسباب عديدة:

(أ) لأن هذا يعني احتجاب الدعوة عن الآخرين ممن يمكن أن يكونوا أكثر قبولاً لها، وإقبالاً عليها.

(ب) ولأن هذا يغري قريشاً بالضراوة في حرب الدعوة، والحماسة في صد الناس عنها، وفتنة المؤمنين بها، إذ يشعرون بأن الدعوة تحدّ خاصّ يواجه قريشاً، ومهمة القضاء عليها موكولة إليهم.

(ج) ولأن هـ _____

يعرض الدعوة لخطر الزوال، ويعرض أتباعها للإبادة على يد القرشيين؛ لأنهم عدد قليل محصور في مكان واحد تسيطر عليه فئة معينة، ذات عقلية معينة، من الممكن أن يصل بها التفكير إلى حد التخطيط لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وجميع أتباعه؛ بل حدث هذا فعلاً⁽⁵⁶⁾.

وهذا شأن الكافرين المعاندين: **(إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا)**⁽⁵⁷⁾.

ونحن جميعًا نعلم - الآن - أن هذا لم يكن ليكون، وأن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل دينه لأمر لا يبد أن يتم، وأن الوعد بإعزاز الإسلام، ورفع شأنه، كان قديمًا منذ فجر الدعوة..

ولكن حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام، كانوا مطالبين بفعل الأسباب الدافعة للمفسدة، تحقيقًا لمعنى كبير من معاني العبادة، وتعليمًا لمن بعدهم ممن يتأسى بهم ويستنّ.

وتحقيقًا لمعنى من معاني بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتصرف في سائر شؤونه باعتباره رسولًا بشريًا، فلا يكون ثمة أي تناقض بين إيمانه بالوعد الإلهي، وبين سعيه بالجهد البشري ومحاذرتة من الإخفاق؛ لأن الوعد الإلهي إنما كان لأن الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا القدر، وعلى هذه الصفة.

وهذا يشبه حال الصحابة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بدخول الجنة.. كيف كانوا بعد هذه الشهادة؟ هل اطمأنوا بها وتركوا العمل لأنها شهادة حق وصدق، ولا ريب فيها، ولا يمكن أن تتخلف؟؟

أم ظلوا على ما هم عليه من يذل الجهد
البشري المطلوب في العبادة، وتوقي أسباب
دخول النار، والخوف والحب والرجاء؟.

لا شك أنهم ظلوا بشرًا يتصرفون بمقتضى
الجملة البشرية الفطرية، فيرجون ويخافون،
ويفعلون الأسباب، مع ثقتهم بالوعد؛ ولهذا كان
الوعد، وبهذا استحقوا رحمة الله لهم بالجنة.

وهذه كهذه سواء، ومثلها كثير..

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم
حتى بعد الهجرة إلى المدينة، واستقرار الدعوة
فيها، وكسرها للطوق الذي أحاطها به القرشيون،
ووجدانها الفئة التي تؤويها، وتحميها، يشدعر صلى
الله عليه وسلم بهذا المعنى؛ معنى انحصار
الدعوة في بيئة واحدة، وفي فئة واحدة، لو
استؤصلت لانتهدت الدعوة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني
عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر
رسول صلى الله عليه وسلم إلى المشركين
وهم ألف، وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً،
فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم
القبلة، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه:

"اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"!

فما زال يهتف بربه،

م

أيديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُزْدِفِينَ)**⁽⁵⁸⁾، فأمدّه الله بالملائكة⁽⁵⁹⁾..

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بمقتضى بشريته يحاذر فناء المسلمين، وهلاك هذه العصابة من المؤمنين، فيجأ بهذا الدعاء الحار، ويهتف بربه، ويناشده حفظهم ونصرهم، فيرى الصديق الأول رضي الله عنه في هذا الموقف النبوي العظيم آية من آيات النصر المبين، فينادي بالنبي صلى الله عليه وسلم: كفاك - أو كذاك - مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك.

فتلتقي في هذا الموقف آيتان:

آية الإيمان بوعد الله ونصره وتمكينه.

وأية فعل الأسباب البشرية لتحصيل هذا النصر، والتي منها الدعاء والتضرع.

لقد كان يقض مضجع النبي صلى الله عليه وسلم انحصار الدعوة في مكة، وبين قريش المتأبية على الدعوة، المعارضة لها، فيلتمس الأسباب التي يخرج فيها بدعوته عن هذه الدائرة الضيقة إلى أفق أوسع وأرحب.

فيوجه أصحابه إلى الهجرة الأولى ثم الثانية إلى الحبشة.

ثم يخرج إلى الطائف يطلب النصر من ثقيف.

ثم يعرض نفسه على القبائل في الأسواق والمواسم، ويعلن عن بضاعته السماوية على الملأ.

حتى إذا وافته الفرصة بإسلام الأنصار اغتنمها، ووجه بعض أصحابه إلى المدينة، تمهيداً لهجرته صلى الله عليه وسلم إليها⁽⁶¹⁾

وكل هذا جزء من الجهد الذي بذله النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره قائداً لهذه الدعوة المباركة، وأصحابه من ورائه؛ لحمايتها من الاضمحلال والزوال، وتحقيق وعد الله لها بالنصر والتمكين.

ولقد امتن الله عليهم آخر الأمر بالإيواء والتأييد والرزق بعد التشرد والضعف والعيلة:

**(وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي
الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ
فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)⁽⁶²⁾.**

وسيتضح -إن شاء الله- في الفصل القادم، كيف حصل المؤمنون على هذا النصر؟ وما هي الخطوات والمراحل التي اجتازوها قبل مرحلة التمكين؟ وكيف تعاملوا مع الأحوال والأوضاع المعارضة لهم.. حتى صنع الله بهم من الضعف قوة، ومن الذلة والقلّة عزاً ونصراً.

* * *

هوامش الفصل الثاني

هو: أصحمة بن أبجر، واسمه بالعربية: عطية، والنجاشي لقب له، مات سنة تسع وقيل قبل ذلك.

انظر: الإصابة: (1/177).

رواه البخاري في: 23- كتاب الجنائز، 4- باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه: (2/71).

55- باب الصفوف على الجنائز (2/88).

61- باب الصلاة على الجنائز بالمصلى (2/90).

وفي: 63- كتاب مناقب الأنصار، 38- باب موت النجاشي: (4/246).

ومسلم في: 11- كتاب الجنائز، 22- باب في التكبير على الجنائز، رقم (62-63)، (2/656).

وأبو داود في: 15- كتاب الجنائز، 62- باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك، رقم (3204)، (3/541).

والترمذي في: 8- كتاب الجنائز، 37- باب ما جاء في التكبير على الجنائز، رقم (1022)، (3/333).

والنسائي في: 20- كتاب الجنائز، 27- باب النعي، (4/26).

72- الصفوف على الجنائز: (4/70).

76- عدد التكبير على الجنائز: (4/72).

وابن ماجه في: 6- كتاب الجنائز، 33- باب ما جاء في الصلاة على النجاشي، رقم (1534): (1/490).

ومالك في الموطأ: 16- كتاب الجنائز، 5- باب التكبير على الجنائز، رقم (14): (1/226).

وأحمد في مسنده: (2/241، 281، 289، 348، 439، 479، 529).

والحديث ورد عن جابر بن عبد الله في البخاري: (2/88)، (4/246).

ومسلم: (2/657)، والنسائي: (4/69،70)، وأحمد: (3/295، 319، 355،361، 363، 369، 400)، والخطيب في الأسماء المبهمة، حديث أصحمة: ص (21).

وعن عمران بن حصين في: مسلم: (2/657)، والترمذي: (3/348)، والنسائي: (4/70)، وابن ماجه: (1/491)، وأحمد: (4/43، 441،446،439،433،1).

وابن عباس في المسند: (1/254).

³وابن عمر في ابن ماجه: (1/254).

وجريير بن عبد الله في المسند (4/360-363).

ومجمع بن جارية الأنصاري في ابن ماجه: (1/491)، والمسند: (4/64)، (5/376).

وحذيفة بن أسيد الغفاري في المسند: (4/7)، ثلاثة مواضع.. وغيرهم.

وهذه الروايات الصحيحة المتكاثرة تؤكد إسلام النجاشي ومتابعته للرسول صلى الله عليه وسلم فلم يكن ليصلي عليه ويأمر بالاستغفار له ويسميه أحمًا لولا أنه مسلم، كيف وقد تُهي صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى.

ففيها رد صريح على من نفى إسلامه، أو تشكك فيه، وهي - كما رأيت - في درجة عليا من الثبوت والله أعلم.

(3) انظر: من المواضع السابقة: البخاري: (2/2/90)، وانظر - أيضًا -: معالم السنن للخطابي: (1/310).

رواه البخاري في: 10 - كتاب الأذان، 128 - باب يهوي بالتكبير حين يسجد: (1/195).

- 56- كتاب الجهاد، 98- باب الدعاء على المشركين (3/233).
- 60- كتاب الأنبياء، 19- باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين: (4/122).
- 65- كتاب التفسير، 9- باب ليس لك من الأمر شيء (5/171).
- 21- باب قوله: فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم: (5/183).
- 78- كتاب الأدب، 110- باب تسمية الوليد (7/118)، 80- كتاب الدعوات، 58- باب الدعاء على المشركين: (7/165).
- ومسلم في: 5- كتاب المساجد، 54- باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، رقم (294-295)، (1/466-468).
- وأبو داود: 2- كتاب الصلاة (تفريع أبواب الوتر)، 345- باب القنوت في الصلوات، رقم (1442)، (2/142).
- والنسائي في: 11- كتاب الافتتاح، باب القنوت في صلاة الصبح (201-2/202).
- وابن ماجه في: 5- كتاب إقامة الصلاة، 145- باب ما جاء في القنوت في صلاة الفجر، رقم (1244)، (1/349).
- والدرامي في: 2- كتاب الصلاة، 216- باب القنوت بعد الركوع رقم (1603)، (1/312).
- والإمام أحمد في: (2/239، 255، 271، 396، 418، 470، 502، 521).
- وابن خزيمة في صحيحه - كتاب الصلاة - 161- باب القنوت بعد رفع الرأس من الركوع.. رقم (615)، (1/311).
- 163- باب القنوت في صلاة العشاء الأخيرة، رقم (617): (1/31)
- (2).

165- باب ذكر البيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقنت
دهره كله، رقم (619).

166- باب ترك القنوت عند زوال الحادثة.. رقم(621).

والبيهقي في: كتاب الصلاة، باب القنوت في الصلاة عند نزول نازلة
(198-2/197).

انظر: تفصيل قصة احتباس المستضعفين، واستدراج المشركين
لعياش ابن أبي ربيعة بعدما هاجر إلى المدينة حتى أوثقوه وردّوه
إلى مكة في:

⁶سيرة ابن هشام: (120-2/118).

فتح الباري: (227-8/226).

سيرة ابن كثير: (220 -2/219).

وقصة عياش بن ربيعة رواها ابن إسحاق قال: حدثني نافع عن عبد
الله ابن عمر عن عمر، وهذا إسناد حسن.

(6) انظر: سيرة ابن هشام: (1/280).

هو: عُفَّيفٌ - بالتصغير، بضم العين المهملة، وفتح الفاء الموحدة،
والياء المشددة ثم فاء - هذا هو الراجح في ضبط اسمه - ابن عمرو
وقيل ابن قيس.

ولقب عفيفًا لقوله:

وقالت لي: هلمّ إلى التصابي.. فقلت: عففت عما تعلينا

وهو صحابي: انظر: الإصابة: (18-7/17) رقم الترجمة (5579).

تهذيب التهذيب:(7/236).

الاستيعاب:(82-9/87)، رقم الترجمة(2036).

مسند أحمد - بتحقيق شاكر: (223-3/218).

الحديث رواه الحاكم في مستدركه - كتاب معرفة الصحابة- خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد معتبر من أولاد عفيف بن عمرو.

وقال الذهبي: صحيح: (3/183).

ورواه ابن إسحاق في السير: إسلام علي رضي الله عنه: ص (137-138).

والإمام أحمد في المسند: (1/209).

والبخاري في التاريخ الكبير: (75-7/74)، في ترجمة عفيف، رقمها (341).

والطبري في التاريخ (2/311 ، 312)، فيمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم وأمن به بعد خديجة.

والعقيلي في الضعفاء الكبير، في ترجمة إسماعيل بن إياس بن عفيف، رقمها (87)، (1/80).

والطبراني في المعجم الكبير: في ترجمة عفيف: (18/100).

وابن عدي في الكامل، في ترجمة إياس بن عفيف: (1/410).

والبيهقي في الدلائل، في باب من تقدم إسلامه من الصحابة: (2/162).

وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة عفيف، ورقمها (2036): ()

(85-9/83)، وفي ترجمة علي بن أبي طالب، ورقمها (1855): () (145-8/143).

وابن سيد الناس في عيون الأثر بسنده، في ذكر أول الناس إيمانًا: (1/93).

ونسبه ابن حجر في الإصابة للبغوي وابن أبي خيثمة وابن منده وصاحب الغيلانيات: (7/18).

ومدارهم على يحيى بن الأشعث - أو ابن أبي الأشعث- الكندي من أهل الكوفة، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف، عن أبيه، عن جده عفيف.

ويحيى ترجمه البخاري وابن أبي حاتم فلم يذكره بجرح ولا تعديل، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: التاريخ الكبير: (8/261)، الجرح والتعديل: (9/129)، الثقات: (9/251)، تعجيل المنفعة ص (438)، لسان الميزان: (6/241).

وإسماعيل بن إياس قال فيه البخاري: في حديثه نظر، وهي من أشد ألفاظ الجرح عنده، وذكره ابن أبي حاتم وقال: روى عن أبيه، روى عنه يحيى.. سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك.

قال أبو زرعة: "يعد من المدنيين"، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: ليس هو بالمعروف. انظر: التاريخ الكبير: (1/345)، الجرح والتعديل: (2/159)، الثقات: (6/35)، الكامل: (1/305)، اللسان: (1/395).

وأبوه إياس، قال البخاري: فيه نظر، وذكره ابن أبي حاتم وقال: يعد في الحجازيين، سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك، ولم يذكر فيه عنهما جرحًا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: التاريخ الكبير: (1/441)، الجرح والتعديل: (2/280)، الثقات: (4/34)، الكامل: (1/410)، اللسان: (1/475)، التعجيل ص (44) - فهذا الإسناد ضعيف جدًا.

ولكن جاء الحديث من طريق آخر:

وهي رواية سعيد بن خثيم عن أسد بن عبد الله البجلي عن يحيى بن عفيف عن أبيه عفيف.

انظر: الجرح والتعديل: (2/367، 379)، الثقات: (8/140) الميزان: (1/325)، اللسان: (2/34).

فهذا الإسناد - أيضًا - ضعيف.

ولعل الحديث - بمجموع الطريقتين الأخيرين حسن لغيره - إن شاء الله-، أما الطريق الأولى فهي غير منجبرة لشدة ضعفها.

وقد قال الإمام ابن عبد البر في الاستيعاب (9/83): "حديث حسن جداً"، وإن كان يحتمل أنه قصد الحسن المعنوي؛ لأنه قد يقول ذلك في أحاديث يذكر عللها، مثل قوله: "حديث حسن جداً، ولكن ليس له إسناد قوي"، جامع بيان العلم: (1/55).

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وسبق ذكر ذلك.

وقال الهيثمي: ورجال أحمد ثقات: المجمع: (9/103،223).

وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، المسند: (3/318)، التعليق على الحديث رقم (1787).

سيرة ابن هشام: (1/263).

9

وهذا الحديث المرسل يشهد له ما سبق من حديث عفيف الكندي، وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

سورة يوسف: آية 104، وسورة ص: آية 87.

10

سورة القلم: آية 52.

11

سورة الأنعام: آية 90.

12

رواه البخاري في: 62 - كتاب فضائل الصحابة، 15 - باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري: (4/212).

13

وفي: 63 - كتاب مناقب الأنصار، 31 - باب إسلام سعد رضي الله عنه: (4/240).

وابن ماجه في المقدمة، 11 - باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (132): (1/47) وفيه: ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه.

وابن سعد في الطبقات، في ترجمة سعد: (3/139).

وأبو نعيم في الحلية في 7 - سعد بن أبي وقاص - بنحو رواية ابن ماجه: (1/92).

ونسبه الحافظ ابن حجر لابن منده في معرفة الصحابة بنحو رواية ابن ماجه: (7/84).

ورواه البيهقي في الدلائل - باب من تقدم إسلامه من الصحابة: (2/169).

وعن سعد رضي الله عنه قال: رأيتني سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الحبله حتى يضع أحدنا ما تضع الشاة.

رواه البخاري في: 70 كتاب الأطعمة، 23 - باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون: (6/204).

وفي: 81 - كتاب الرقاق، 17 - باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: (7/180).

وفي: 62 - فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، 15 - مناقب سعد بن أبي وقاص: (4/212).

ومسلم في: 53 - كتاب الزهد والرقائق... رقم الحديث: (1،12،3)، (4/2277).

والترمذي في: 37 - كتاب الزهد، 39 - باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (2365): (4/582).

وأحمد في المسند: (1/174،181،186).

ويمكن الجمع بين هذا وهذا أن قصته مع السبعة قصة متأخرة في غزوة من الغزوات، وأن أفراد تلك الغزوة كانوا سبعة.

ثم وجدت ذلك صريحًا في رواية ابن سعد: (3/140).

رواه مسلم في: 6 - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، 52 - باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم الحديث (294): (2/569) بهذا اللفظ. والإمام أحمد في مسنده: (4/111،112).

وأبو عوانة في مسنده، بيان الأعمال والفرائض 00 (1/5).

وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الوضوء (جماع أبواب الوضوء وسننه)، 128 - باب ذكر البيان أن الله عز وجل أمر بغسل القدمين، رقم الحديث (165): (1/85) وهو مختصر.

ثم في جماع أبواب الغسل والتطهير والاستحباب (196)، باب ذكر دليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يأمر بالوضوء قبل نزول سورة المائدة، رقم الحديث (260): (1/128-130).

والحاكم: كتاب الطهارة: (163-1/165).

وفي كتاب معرفة الصحابة: (3/66).

وفيه أيضًا في ذكر بلال بن رباح: (3/285) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفيه أيضًا في ذكر عمرو بن عبسة رضي الله عنه (3/617) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وفي: كتاب البر والصلة: (4/148) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وأبو نعيم في الدلائل، ذكر إسلام عمرو بن عبسة: (121-210).

والبيهقي في الدلائل، باب من تقدم إسلامه من الصحابة (2/168).

¹⁵ ورواه عنه من غير طريق أبي أمامة:

الإمام أحمد في المسند: (113-4/385-114).

وفي فضائل الصحابة، فضائل أبي بكر، رقم (299).

وابن منده في التوحيد، ذكر الآي المتلوة والسنة المأثورة .. في النزول رقم (725)، (2/517).

واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، في سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الرب تبارك وتعالى، برقم (761)، (3/445).

والدارقطني في كتاب النزول، ذكر الرواية عن عمرو بن عبسة في ذلك رقم (66، 67) ص(142-144).

والبخاري في التاريخ الكبير، في ترجمة سويد بن جبلة الفزاري، رقمها (2273): (4/147).

(15) في رواية الحاكم: (3/285، 617)، وابن خزيمة: (1/129) وغيرهما، وقد روى الحاكم عن أبي ذر أيضًا أنه قال: لقد رأيتني ربع الإسلام.. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. المستدرک: كتاب معرفة الصحابة: (3/341).

رواه البخاري في: 63 - كتاب مناقب الأنصار، 30 - باب إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (4/240).

¹⁷ وفي: 62 - فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، 5 - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذًا خليلاً .. (4/191). والإمام أحمد في: فضائل الصحابة، برقم (232): (1/208).

والبيهقي في الدلائل، باب من تقدم إسلامه من الصحابة: (2/167).

(17) انظر: فتح الباري (7/24)، وقد قال ابن مسعود: لقد رأيتني سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. المستدرک: كتاب معرفة الصحابة: (3/313).

سبق تخريجه.

انظر: سيرة ابن هشام: (1/267-269)، والسيرة النبوية لابن كثير (19
(439-1/437

سورة الأحقاف: الآيات 29-32. 20

وسبق الحديث عن "غربة الحنفاء في الجاهلية"، وبيان طبيعة تلك 21
الغربة.

سورة العنكبوت: آية 69. 22

رواه ابن ماجه: في المقدمة، 11- باب في فضائل أصحاب رسول 23
الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (150)، (1/53).

والإمام أحمد في المسند: (1/404).

وفي فضائل الصحابة، برقم (191): (1/182-183).

وابن أبي عاصم في كتاب الأوائل برقم (99)، ص (87).

وابن أبي شيبة في المصنف - كتاب الفضائل - (2092) في بلال
رضي الله عنه، برقم (12383،12384) ، (12/149).

وأبو نعيم في الحلية في ترجمة بلال، ورقمها (24): (1/149).

والبيهقي في الدلائل - باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه .. (2/281)، وفي باب من تقدم إسلامه: (2/170).

ورواه أيضًا في السنن، في كتاب المرتد، باب المكروه على الردة ()
(8/209).

ورواه الحاكم في المستدرک، في معرفة الصحابة: (3/384) وقال
صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة بلال، رقمها (213): ()
(2/27).

وابن حبان - كما في الإحسان: كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم
عن مناقب الصحابة - ذكر صهيب بن سنان، برقم (7041)، ()

9/107). كلهم من طريق زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله.
24وزائدة: هو ابن قدامة: ثقة ثبت. انظر: التهذيب (3/306)،
التقريب: (1/256).

وعاصم: هو ابن أبي النجود المقرئ: صدوق في حفظه شيء، وقال
الذهبي: حسن الحديث. انظر: الميزان: (2/357)، التهذيب (5/38)،
التقريب: (1/383).

وزر: هو ابن حبيش الأزدي: ثقة جليل. انظر: التهذيب: (3/321)،
التقريب: (1/259).
فالحديث حسن.

وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي -كما سبق- وقال البوصيري: هذا
إسناد رجاله ثقات. الزوائد: (1/77).

وله شاهد مرسل عن مجاهد: رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة
عمار ورقمها: (22)، (1/140).

ورواه ابن سعد في الطبقات، في ترجمة بلال: (3/233).

وابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة بلال: (2/28).

وقد ذكر موضع المقداد: خبأً رضي الله عنه.

وانظر: أيضًا: السيرة النبوية لابن كثير: (1/436، 494).

(24) سبق تخريجه في أسباب الغربة .

25 هو عقبة بن أبي معيط. انظر: فتح الباري: (1/594).

26 رواه البخاري في: 8- كتاب سترة المصلي، 109- باب المرأة تطرح
عن المصلي شيئاً من الأذى: (1/131).

4- كتاب الوضوء، 69- باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر: (1/65).

58- كتاب الجزية، 21- باب طرح جيف المشركين في البئر.. (4/71) وفيه: فألقوا في بئر، غير أمية، أو أبي، فإنه كان رجلاً ضخماً فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر.

63- مناقب الأنصار، 29- باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه...، (4/238).

56- كتاب الجهاد والسير، 98- باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة: (3/234).

64- كتاب المغازي، 7- باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش: (5/5).

ومسلم في: 32- كتاب الجهاد والسير، 39- باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين، رقم (107، 108، 109، 110).

والنسائي في: 1- كتاب الطهارة، 192- باب فرث ما يؤكل لحمه يصيب الثوب: (1/161-162).

وأحمد في المسند: (1/393).

وابن أبي شيبة، في المصنف، كتاب المغازي (2406)، باب في أذى قريش للنبي صلى الله عليه وسلم رقم (8412)، (14/295).

وفي (2426) باب غزوة بدر الكبرى، رقم (18524): (14/361).

وابن إسحاق في السير والمغازي: ص (211).

وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، 263- باب ذكر الدليل على أن المصلي إذا أصاب ثوبه نجاسة وهو في الصلاة لا يعلم بها لم تفسد صلاته، برقم (785)، (1/383).

والبيهقي في دلائل النبوة، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أذى المشركين: (2/278، 279، 280-279).

وإنك لتشعر بالروح والأنس حين تتذكر مقتل هؤلاء الصناديد العتاة
في بدر، ويلذ لك سماع شاعر منهم يبكي عليهم، ويقول بعدما ألقوا
في القليب:

وماذا بالقليب - قليب بدر

من الشيزى تزينُ بالسنام؟

وماذا بالقليب - قليب بدر

من القينات والشرب الكرام؟

تحينا السلامة أم بكر

فهل لي بعد قومي من سلام؟

يحدثنا الرسول بأن سنحيا

وكيف حياة أصدقاء وهام؟!

27 الطَّوِيُّ: البئر المطوية، وهو في الأصل صفة من الطي؛ ولذلك جمع
-كما هنا- على أطواء. انظر: النهاية: (3/146).

28 الركي هي البئر أيضًا، وهي الركية وتجمع على ركايا، انظر: النهاية:
(2/261).

29 رواه البخاري في 64 - كتاب المغازي، 8- باب قتل أبي جهل (5/8).
ومسلم في: 51- كتاب الجنة...، 17- باب عرض مقعد الميت من
الجنة أو النار عليه، رقم (78)، (4/204).
وأحمد في المسند: (4/29).

وورد الحديث عن عمر في مسلم في الموضوع السابق، برقم (76)،
(4/2202).

والنسائي في: 20- كتاب الجنائز، 117- أرواح المؤمنين (4/109).
وفي المسند: (1/27).

وعن أنس في مسلم في الموضوع السابق، برقم (77) ، (4/2203).
والنسائي في الموضوع السابق: (4/110)، والمسند: (3/104، 145،
182، 219، 263، 287).

وعن ابن عمر عند البخاري في: 23- الجنائز، 87- باب ما جاء في
عذاب القبر: (2/101).

والنسائي في الموضوع السابق: (4/110-111).
والمسند: (2/31، 38، 131).

وعن عائشة في المسند: (6/276).

وقد وردت الأسماء التي نادى بها الرسول صلى الله عليه وسلم عند
مسلم وغيره: يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة ابن
ربيعة، يا شيبه بن ربيعة.

رواه ابن إسحاق في السير والمغازي، من عذب في الله بمكة من
المؤمنين، ص (192-193).

وهو في السيرة النبوية لابن هشام، في ذكر عدوان المشركين على
المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة: (1/342-343).

ورواه البيهقي في السنن، في كتاب المرتد - باب: المكره على
الردة: (8/209).

ورجال إسناده كلهم ثقات، خلا ابن إسحاق فإنه يخشى منه
التدليس، وقد صرح في هذه الرواية بالتحديث، وخلا شيخه حكيم ابن
جبير، فإنه شيعي، وأكثر العلماء على تضعيفه، وقال أبو زرعة: محله
الصدق - إن شاء الله -.

انظر في ترجمته: التاريخ الكبير: (3/16)، الجرح والتعديل)
(3/201)، التهذيب: (2/445)، الميزان: (1/583)، التقريب)
(1/193).

فالحديث ضعيف، ولكن يشهد له حديث ابن مسعود السابق، وقصة تعذيب عمار، فقد جاء عند الطبري وغيره أن قوله تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [سورة النحل: آية 106].

نزل في عمار بن ياسر؛ بل قال ابن حجر: "اتفقوا على أنها نزلت فيه" الإصابة: (7/65).

وقال ابن عبد البر: ". فنزلت فيه (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) وهذا مما اجتمع أهل التفسير عليه" الاستيعاب: (8/226) وذلك أن المشركين ضربوه حتى باراهم في بعض ما يريدون ونال من النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ألتهم بخير. انظر: تفسير الطبري سورة النحل: (181/14-182).

وقصته رواها الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير: (2/357). وإسناده حسن، سوى أنه مرسل، فهو من رواية أبي عبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر... وأبو عبيدة صدوق. انظر: التهذيب: (12/160)، اللسان: (4/549)، وكذلك أبوه. انظر: الجرح والتعديل: (8/43)، التهذيب: (9/359)، الثقات: (5/357).

³¹ومن طريق الحاكم رواها البيهقي في سننه: كتاب المرتد، باب المكره على الردة، (8/208).

وسياتي مزيد تخريج لهذه القصة في رسالة قادمة عن العزلة والخلطة تحت فصل "التقية".

(31) انظر: السير والمغازي لابن إسحاق: ص (154، 189-194).

سيرة ابن هشام: (339-1/343).

السيرة النبوية لابن كثير: (493-1/497).

رواه أبو أحمد الحاكم من طريق عقيل، عن الزهري، عن إسماعيل ابن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، كما في الإصابة في ترجمة ياسر العنسي - بالنون- ورقمها (9209)، (10/331)، وفي الاستيعاب في ترجمة ياسر ورقمها (2822)، (101-11/100).

وعُقيل -بضم العين، وفتح القاف- هو ابن خالد الأيلي: ثقة ثبت. انظر: التهذيب: (7/255)، التقريب: (2/29).

والزهري: إمام مشهور، ومضى.

وإسماعيل بن عبد الله: ثقة. انظر: التهذيب: (1/306)، التقريب (1/70).

وهذا إسناد صحيح، وهو من مراسيل الصحابة.

انظر: التهذيب: (5/170).

والخبر رواه ابن إسحاق في السير والمغازي مرسلًا حيث قال: فحدثني رجال من آل عمار بن ياسر، في باب: من عذب في الله بمكة من المؤمنين. ص (192).

وهو في السيرة النبوية لابن هشام، في ذكر عدوان المشركين على المستضعفين: (1/342).

ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده -كما في المطالب العالية-، وأبو أحمد الحاكم، وابن منده -كما في الإصابة- من طريق الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عثمان رضي الله عنه، وهو منقطع، وقال أبو زرعة: سالم عن عمر وعثمان وعلي: مرسل.

المطالب العالية - كتاب المناقب - باب فضل عمار بن ياسر، رقم (4034): (4/87).

الإصابة - الموضوع السابق: (10/332)، المراسيل لابن أبي حاتم رقم الترجمة (126) ص (80).

ورواه الإمام أحمد من طريق عمرو بن مرة عن سالم عن عثمان،
وفيه العلة السابقة: (1/62).

وهكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمار ورقمها (22): (1/140).

ورواه الحاكم في المستدرک، والطبراني في الأوسط من طريق
أبي الزبير عن جابر، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم
يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز
المقوم وهو ثقة.

المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، مناقب عمار بن ياسر: (3/388, 389).

مجمع الزوائد، 40 - كتاب المناقب، باب فضل عمار بن ياسر وأهل
بيته: (9/293).

وسبق الكلام في رواية أبي الزبير عن جابر، وليست هاهنا من
طريق الليث.

ونسبه ابن حجر للإمام أحمد في الزهد من طريق يوسف بن مالك
مرسلاً. الإصابة: (10/331).

وهذه كلها شواهد للحديث الأصل.

هو: بيان بن بشر الأحمسي الكوفي المعلم، أبو بشر - أحد رواة
الحديث، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: (1/506).

رواه البخاري في: 63 - مناقب الأنصار، 29 - باب ما لقي النبي
صلى الله عليه وسلم، وأصحابه.. (4/238).. وهذا لفظه.

وفي: 61- كتاب المناقب، 25- باب علامات النبوة في الإسلام: (4/179).

وفي أوله زيادة: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ ، وفي آخره: ولكنكم تستعجلون.

وفي: 89- كتاب الإكراه، 1- باب من اختار القتل والضرب والهوان على الكفر: (8/56).

وعلقه في: 77- كتاب اللباس، 18- باب البرود والجبرة والشملة: (7/40).

وأبو داود في: 9- كتاب الجهاد، 107- باب في الأسير يكره على الكفر، رقم (2649)، (3/108).

والنسائي في: 48- كتاب الزينة، - باب لبس البرود: (8/204).

و الإمام أحمد في المسند: (111-5/110)، (6/395).

وأبو نعيم في الحلية في ترجمة خباب، ورقمها (23)، (1/144).

سيأتي ذلك في حديث ابن عباس عن أبي سفيان رضي الله عنهما.

سورة يوسف: آية 110 .

سورة البقرة: آية 193.

من شعر زهير بن أبي سلمى، وهو في شرح شعر زهير لثعلب: ص (95-93).

البيت لبحير - بالمهملة أو بالمنقوطة- ابن عبد الله بن عامر بن سلمة، كما في المحبر لابن حبيب ص (139).

انظر: المنمق، ص (468،488-460،464) والمحبر: ص (137-146).

القصة حدثت لسعد بن أبي وقاص، ورواها أبو نعيم في الحلية في ترجمة سعد، من طريق محمد بن إسحاق. قال: حدثني صالح بن كيسان، عن بعض آل سعد، عن سعد، وصالح ثقة ولكن بعض آل سعد مبهم، ولعله إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو

ثقة. انظر: الحلية ترجمة رقم (7)، (3/93).

أي أصابتها القروح، والأشداق جمع: شقوق، وهو جانب الفم.

42

هو سعد بن أبي وقاص.

43

رواه مسلم في: 53- كتاب الزهد... برقم (14-15)، (4/2278).

44

والترمذي في الشمائل: 50- باب ما جاء في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (4156): (2/1392).

والإمام أحمد في المسند: (4/174)، (5/61).

وأبو يعلى الموصلي في المفاريد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر مسند رقم (56)، ص (114).

والحاكم في المستدرک، في معرفة الصحابة، مناقب عتبة بن غزوان (3/261) وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

ونسبه في التحفة للنسائي في الكبرى، رقم الحديث في التحفة (9757)، (7/233).

ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عتبة، رقمها (27)، (1/171).

ورواه الترمذي في سننه: 40- كتاب صفة جهنم، 2- باب ما جاء في صفة قعر جهنم، برقم (2575) عن الحسن قال: قال عتبة، وقال الترمذي: لا نعرف للحسن سماعًا من عتبة.. (4/702).

(45) انظر: الإصابة: (6/379)، وطبقات ابن سعد: (4/362).

انظر: السير والمغازي لابن إسحاق، ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء: ص (156).

46

الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن سيل الماء، الفتح (8/15)، وهو المحصب من منى.. انظر: معجم البلدان: (2/412).

47

انظر: فتح الباري (8/15).

48

سورة آل عمران: آية 140.

رواه البخاري: 56- كتاب الجهاد، 180 - باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم: (4/33). وهذا لفظه.

وفي: 25- كتاب الحج، 44- باب توريث دور مكة وبيعها. (2/157) مختصرًا.

وفي: 64 - كتاب المغازي، 48- باب توريث دور مكة وبيعها. (2/157) مختصرًا.

وفيه أنه قال: زمن الفتح، وفي الحديث الأصل: في حجته.

ورواه مسلم في: 15- كتاب الحج، 80- باب النزول بمكة للحاج رقم (439،440)، (2/984).

ورواه أبو داود في: 5- كتاب المناسك (الحج)، 87- باب التحصيب رقم (2010) (2/514).

وفي: 13- كتاب الفرائض، 10- باب هل يرث المسلم الكافر؟ رقم (2910)، (3/328).

ونسبه المزي للنسائي في الحج، وأفاد المحقق أنه في الكبرى، ولم أجده في المخطوط، وإنما وجدت حديث أبي هريرة الآتي. رقم الحديث في التحفة (114)، (58-1/57).

وابن ماجه في: 25- كتاب المناسك، 26- باب دخول مكة، رقم (2942)، (2/981).

وفي: 23- كتاب الفرائض، 6- باب ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك، رقم (2730)، (2/912).

⁵¹والطحاوي في المشكل، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوابه أسامة.. (3/198).

وابن خزيمة في: كتاب المناسك، 827 - ذكر الدليل أن النبي.. أعلمهم.. أن ينزل بالأبطح، برقم (2985)، (4/322).

والبيهقي في سننه في: كتاب الحج، باب الصلاة بالمحصب (5/160).

وذكر ابن حجر عن الخطيب البغدادي أن قوله: وذلك أن بني كنانة.. إلخ، مدرج في رواية الزهري عن علي بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة، وإنما هو عند الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة.. الفتح: (6/176).

وانظر التعليق على الحديث الآتي.

(51) رواه البخاري في: 63- مناقب الأنصار، 39- باب تقاسم المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم: (4/246) وهذا لفظه.

وفي: 35- كتاب الحج، 45- باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم مكة: (2/158)، وزاد: يعني بذلك المحصب، وذلك أن قريشًا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب، أو بني المطلب، ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي: 64- كتاب المغازي، 48- باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح؟: (5/92).

وفي إحدى روايتي هذا الموضوع: منزلنا -إن شاء الله- إذا فتح الله الخيف.. الخيف مرفوع: خبر لمنزلنا، أما مفعول فَتَحَ فمحذوف.

وفي: 97- كتاب التوحيد، 31- باب المشيئة والإرادة: (8/194).

ورواه مسلم في: 15- كتاب الحج، 59- باب استحباب النزول بالمحصب رقم (343-345)، (2/952).

وأبو داود في: 5- كتاب المناسك (الحج)، 87- باب التحصيب رقم (2011)، (2/515).

والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المناسك، باب نزول المحصب بعد النفر، (ل: 54 ب).

وأحمد في المسند: (2/237,263,322,353,540).

⁵² وابن خزيمة في: كتاب المناسك، 826- باب استحباب النزول بالمحصب، رقم (2981-2982).

827- باب ذكر الدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم.. رقم الحديث (2984)، (322-4/321).

والبيهقي في سننه في كتاب الحج، باب الصلاة بالمحصب: (5/160).

واختلفت روايات الصحيح وغيرها في هذا الحديث، ففي بعضها -كما هاهنا- حين أراد حنينًا، وفي البعض الآخر: من الغديوم النحر وهو بمنى.

كما اختلف صنيع الأئمة فهم يثبتونها حينًا في أبواب المناسك وحينًا في أبواب المغازي والجهاد..

وانظر: للجمع والترجيح: الفتح: (3/453)، (8/15).

قال الحافظ ابن حجر في الزيادة المسوقة في كتاب الحج: "ويختلج في خاطري أن جميع ما بعد قوله: يعني المحصب، إلى آخر الحديث من قول الزهري أدرج في الخبر.. ومن ثم لم يذكر مسلم في روايته شيئًا من ذلك" الفتح: (3/453)، (8/15).

(52) سورة المنافقون: آية 7.

هو الحداد الذي يصنع السيوف. انظر: النهاية (4/135).

سورة مريم: آية 77.

رواه البخاري في: 44 - كتاب الخصومات، 10 - باب التقاضي: (3/92).. وهذا لفظه.

وفي: 34- كتاب الإجازة، 15- باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك؟: (3/52).

وفي: 37- كتاب التفسير، 19- سورة كهيعص، 3- باب قوله:
أفرايت الذي كفر بآياتنا...، (5/237).

ومسلم في: 5- كتاب التفسير، 20- ومن سورة مريم، رقم (3162)، (5/318).

والإمام أحمد في المسند: (111-5/110).

والطبري في التفسير، تفسير سورة مريم: (16/120).

وابن سعد في الطبقات، في ترجمة خباب: (3/164).

وروى الطبري عن ابن عباس نحوه وفيه: أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل.. : (16/121).

وورد مرسلًا عن الحسن ومجاهد وقتادة ومسروق، انظر: الطبري، والدر المنثور.

أي: حدث التفكير بذلك.

سورة الكهف: آية 20.

وانظر: ما سبق مرارًا من حديث عمرو بن عبسة.

سورة الأنفال: رقم الآية 9.

رواه مسلم في: 2 ذ - كتاب الجهاد والسير، 18 - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.. ، رقم (58): (3/1383-1385) وهذا لفظه.. وفي آخره زيادة.

وروى أبو داود بعضه في: 9 - كتاب الجهاد، 131 - باب في فداء الأسير بالمال، رقم (2690): (3/138-139).

ورواه الترمذي في: 48 - كتاب تفسير القرآن، 9 - باب ومن سورة الأنفال، رقم (3081)، (5/269).

وأحمد في المسند: (1/30،32).

والطبري في التفسير، تفسير سورة الأنفال: (9/189).

56

57

58

59

وابن أبي شيبه في مصنفه: كتاب المغازي، (2426)، باب غزوة بدر الكبرى.. رقم (18531)، (368-14/365).

وأبو نعيم في الدلائل، في ذكر ما جرى من الآيات في غزواته وسراياه: ص (408).

والبيهقي في الدلائل، جماع أبواب غزوة بدر العظمى، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين: (3/51).

ونسبه السيوطي في الدر أيضًا لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي عوانة وابن حبان وأبي الشيخ وابن مردويه: (4/28).

والحديث ورد عن ابن عباس في:

البخاري في: 56 - كتاب الجهاد والسير، 89 - باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم، (3/230).

64 - كتاب المغازي، 4 - باب قول الله تعالى: إذ تستغيثون ربكم: (5/4).

65 - كتاب التفسير، 6 - باب قوله: سيهزم الجمع ويولون الدبر: (6/54).

7 - باب قوله: بل الساعة موعدهم (6/54).

⁶⁰والبيهقي في الدلائل، جماع أبواب غزوة بدر العظمى، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين، (3/50).

وهو في الدلائل لأبي نعيم بسياق آخر، في ذكر ما جرى من الآيات في غزواته وسراياه، ص (404).

ونسبه المزي في التحفة للنسائي (6054)، (75/127)، وهو في الدر المنثور: (7/681).

وورد عن ابن مسعود عند النسائي في عمل اليوم والليلة، باب الاستنصار عند اللقاء، رقم (606)، ص (394).

وفي السنن الكبرى، كتاب المغازي، باب الصلاة عند الالتقاء (ل
115/ أ)، وهو في الدلائل للبيهقي: (3/50).

وورد عن علي عند البيهقي في الدلائل: (3/49).

وعن يزيد بن يثيع في مصنف ابن أبي شيبة، كتاب المغازي، (2426)
غزوة بدر الكبرى، (18535)، (14/369).

وهو عنده أيضًا مختصرًا، في كتاب الفضائل، (2060)، ما ذكر في
أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم (12012)، (12/19).

وهو عند الطبري في التفسير، تفسير سورة الأنفال (9/190) وفي
المطبوع: ابن نفيع.

سيأتي في الفصل الثالث من هذا الكتاب: كيفية مواجهة الغربية،
الحديث عن هجرتي الحبشة، والخروج إلى الطائف، وهجرة
المدينة.. وغيرها.

سورة الأنفال: آية 26.

61

62

* * *